المحاضرة الثانية

قضايا علم التراكيب

تعريف المركَّب لغة واصطلاحا:

التركيب في اللُّغة: وضْع شيء على شيءٍ، جاء في "اللسان" و"القاموس": "ركَّب الشيءَ: وَضَع بعضَه على بعض، فتركَّب وتراكب" ويقال: "تراكب السَّحاب وتراكم: صار بعضُه فوق بعض"، والمركَّبُ – كمعظَّم –: الأَصْلُ والمَنْبِتُ[1].

والمركب عندَ الفلاسفة وأهل المنطق: "ما يدلُّ جزء لفظه على جزء معناه".

وعند النَّحْويين: "ما تركَّب من كلمتين فأكثر"[2]، وذكر الشيخ العطَّار في "حاشيته على شرح الأزهريَّة": أنَّ أكثرَ النُّحاة على أنَّ المفرد ما تُلُفِّظ به مرَّةً واحدة، والمركَّب ما تُلُفِّظ به مرَّتين، والواقع أنَّ المركب لا يُتلفَّظ به مرَّتين، وإنَّما مرَّةً واحدة كالمفرد، ولكن لأنَّه يُتَلفَّظ بكلِّ جزء من أجزائه – وأقلُّ ما يتألَّف المركب من جزأين – جُعل التلفُّظُ بجزئه تلفُّظًا بكُلِّه، فعندما يُتَلفَّظ بِجُزْأَيْهِ فكأنَّما تُلفِّظَ به مرَّتين[3]، وهذا التَّعريف مبنيٌّ على تعريف أهل المنطق السابق: "ما يدلُّ جزء لفظه على جزء معناه"، فإذا كان جزء المركب يدُلُّ على جزء معناه، فكأنَّ التَّلفُّظ بالجزأين تَلفُّظٌ به مرَّتين.

ولكلِّ جزء قبل التركيب معنى، فإذا رُكِّب الجزآن أفادَ مجموعهما معنًى جديدًا، لم يكن لأيٍّ واحد منهما قَبلَ التركيب.

ونعني بالتركيب اللغوي الجملة التي تتركب من عدد من البني اللفظية التي هي مكونات التركيب أو الجملة، وهذه البني اللفظية هي المتكونة من نظام من الأصوات متتال وفق قواعد علم الصرف.

---

(1) أنظر: – ابن منظور: لسان العرب، مادة (ركب).

– الفيروز آبادي: القاموس المحيط، مادة (ركب).

(2) مصطفى الغلاييني: جامع الدروس العربية، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، د ط، ج1، ص 10.

(3) حسن العطار: الحاشية على شرح الأزهرية، تح: حامد الأزهري، دار ميراث النبوة، القاهرة، د ت، ص 30.

وبصورة أوضح فإن التركيب يعني : الجملة المركبة من عدد من الألفاظ وفق نسق معين, ويلزم أن يؤدي هذا التركيب معنى مفيدا أو مقصوداً، وفي اللغة العربية نسميه الجملة، التي تنقسم إلى جملة اسمية وجملة فعلية، ولها استخدامات عديدة حسب القصد المراد منها مثل الجملة الابتدائية، والجملة الإخبارية، والجملة البسيطة، والجملة المركبة، وجملة الحال، وجملة الصلة، وغيرها[1].

أشهر الدراسات في علم التراكيب:

لقد طبق بعض الدراسين العرب المناهج العربية القديمة في دراساتهم للغة العربية، وطبق بعضهم الآخر المناهج الغربية الحديثة، واكتفى بعضهم بوصف تراكيب العربية بأوصاف ومناهج حديثة، وربط بعضهم الآخر التراكيب بالدلالة بصفة مباشرة وغير مباشرة ومن بين هذه الدراسات:

- نحو نظرية لسانية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية لمازن الوعر، طبق فيها نظرية القواعد التوليدية والتحويلية لتشومسكي والنظرية الدلالية التصنيفية لوالتر كوك، ونظرية النحو العربي للعرب القدامى.
- التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني للدكتور صالح بلعيد درس فيها النماذج التي وردت في كتابين (دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة) للجرجاني، وحاول إبراز ارتباط قواعد النحو بالوظيفة التي تؤديها التراكيب النحوية في عملية الإبلاغ.
- في نحو اللغة وتراكيبها، منهج وتطبيق، لخليل أحمد عمايرة حاول في دراسته تطبيق نتائج علم اللغة المعاصر على تراكيب اللغة العربية.
- النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي لمحمد حماسة عبد اللطيف حاول في دراسته الكشف عن التفاعل بين العناصر النحوية والعناصر الدلالية من خلال دراسة بعض الظواهر النحوية.
- معاني النحو: للدكتور فاضل صالح سمرائي حاول في دراسته التمييز بين التراكيب النحوية المختلفة من حيث معناها واستعمالها في السياق وكان القرآن الكريم مصدره الأول في بحثه.

(1) خليل أحمد عمايرة: في نحو اللغة وتراكيبها، دار المعرفة، جدة، ط1، 1984، ص 29.

قواعد وأسس التركيب اللغوي:

والتركيب اللغوي لا يستقيم أمره إلا وفق قواعد وأسس خاصة, هي التي نطلق عليها القواعد النحوية ,التي تضبط تكوين الجملة في اللغة العربية وغيرها من اللغات ,وسوف نبين خصائص التركيب اللغوي عند عرضنا في هذا البحث لخصائص التراكيب اللغوية في اللغة العربية.

وإذا كان تعريف اللغة يوضح :"أنها نظام من العلامات المتواضع عليها اتفاقا تتسم بقبولها للتجزئة, وينفذها الفرد وسيلة للتعبير عن أغراضه"[1]، فإن التركيب اللغوي هو الصورة المجسدة للغة حيث أن الفرد أو المتكلم لا يعبر عن حاجاته بكلمات متفرقة بل بتراكيب لغوية وجمل متعاقبة مترابطة ترابطاً منطقياً متسقة في ألفاظها ودلالتها.

إذاً فالتركيب اللغوي هو ما نعني به المستوى التركيبي في اللغة, وهو اللغة في وضعها المتكامل المنسق في بناء أصواتها وألفاظها .

ويعد التركيب اللغوي من أعلى مستويات التكوين اللغوي، ومن أهم مستويات التحليل في اللسانية الحديثة. وفي التركيب اللغوي ندرس العلاقات التركيبية داخل الجمل لتصبح هذه الجمل ذات دلالة واضحة.

خصائص تراكيب اللغة العربية:

ويُخصص ابن هشام الأنصاري ت 761هـ بابًا واسعًا للجملة العربية، فيتناول تعريفها، وأشكالها، وخصائصها، ثم يروي آراء بعض النحاة فيها، ويُعدُّ ابن هشام من أوائل اللغويين الذين اهتموا بالجملة العربية، وبينوا أحكامها، وممّا جاء من خصائص الجملة العربية ما يأتي:

- الإفادة، فهي إما أن تكون اسميةً أو فعليةً أو ظرفيةً، ولا تُسمى جملةً إلّا إذا تحقق شرط الإفادة.
- الأصل في الجملة التي لها محل من الإعراب أن تحل محل المفرد؛ لذلك هناك سبع أنواع من الجمل لا محل لها من الإعراب، مثل: الجملة الابتدائية، والجملة المنقطعة عما قبلها، والجملة التفسيرية، والجملة المحكية بعد القول، وغيرها.

(1) محمد عبد العزيز: مدخل إلى علم اللغة، طبعة القاهرة، 1983، ص 19.

- الجمل بعد النكرات صفات، وبعد المعارف أحوال. وشبه الجملة "الظرف، والجار والمجرور" لا بد من تعلقهما بالفعل، أو ما يُشبهه، أو ما أُوّل بما يُشبهه، أو ما يُشير إلى معناه، فإن لم يكن شيء من هذه الأربعة موجودًا يُقدّر.
- مراعاة ما يقتضيه ظاهر الصناعة في الإعراب، ولا يُراعى المعنى.
- الحكم بابتدائية المقدم من الاسمين، إذ يكون بالنظر إلى ثلاث مسائل على النحو الآتي :

1. أن يكونا معرفتين تساوت رتبتهما، نحو: "الله ربنا" أو اختلفت، وهُنا يجوز تقدير كل منهما مبتدأً وخبرًا مطلقًا.
2. أن يكونا نكرتين صالحتين للابتداء بهما، نحو: "أفضلُ منك أفضلُ مني"، وهُنا أنت مخير.
3. أن يكونا مختلفين تعريفًا وتنكيرًا، وهُنا تجعل المعرفة المبتدأ والنكرة الخبر[1].

الخصائص التركيبية للتراكيب اللغوية: وهي كما يلي:

- التراكيب اللغوية في اللغة العربية لديها سعة في توليد جمل أو تراكيب من الجملة الأصلية.
- القدرة على إيراد أكثر من معنى بنفس التركيب.
- قابلية التبسيط مع التعقيد .
- ذات أصل جذري إمّا اسمي أو فعلي.

صفات تراكيب اللغة العربية:

يُوضح بعض اللغويين صفات تراكيب اللغة العربية على النحو الآتي:

- الجملة العربية مركب إسناديّ: يحصل بعملية إسنادية بين المسند والمسند إليه.
- ارتباط الجملة الفعلية ارتباطًا وثيقًا بالزمن: لأنّ وجود الفعل فيها له علاقة بالزمن.
- لا علاقة للجملة الاسمية بالزمن: لأنّ الاسم الذي يتصدرها لا يرتبط بالزمن إلّا إذا كان ظرفًا.

موضوعات علم التراكيب:

لقد ظلت الدراسات اللغوية في اللغة العربية وفي غيرها من اللغات مزيجا من فروع علم اللغة المختلفة مع عناية خاصة بالجانب التركيبي للجمل: كيف تبنى التراكيب، وكيف تركب فيها

(1) ابن هشام الأنصاري: مغني اللبيب، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، د ط، 2003، ص 430.

الكلمات، وبالحركات التي تعطي لكل كلمة بحسب موقعها في تركيب الجمل، وقد كان من بين علماء اللغة والباحثين فيها من وجّه جهده إلى البحث في أصل اللغة ونشأتها وخصائصها تارة في غير تأثر بالمنهج النحوي الذي ساد آنذاك، وأخرى متأثرا به واقعا تحت سلطته وسلطانه، ما أن يخرج منه حتى يعود إليه.

عندما تتوالي الألفاظ أو الكلمات أو البني اللفظية في تنسيق كلامي معين، فإنه يكون الجملة مثل: كتب أحمد الدرس, أو مثل: محمد كتب الدرس, ويكون ذلك بضوابط معينة, هي الضوابط النحوي والدلالية أيضا. "وإن محور الدراسة في المستوى التركيبي هو الجملة أو التركيب اللغوي" فإذا كانت الكلمة أو البنية هي محور الدراسة الصرفية فإن محور الدراسة في المستوى التركيبي هي الجملة وإن الضابط الأساسي في تكوين التراكيب لتكون ذات دلالة صحيحة وتركيب سليم هو التركيب النحوي للجملة القائم على القواعد النحوية التي تضبط تركيب الكلمات في الجملة تركيباً يضمن التوالي المناسب لمفردات أو ألفاظ الجملة, ويضمن الحركات التي تأتي أواخر الكلمات التي هي الأصوات الصغيرة في آخر الكلمات والتي نطلق عليها (الحركات الإعرابية) أي علامات الإعراب، ولذلك يسمي علماء اللغة المستوى التركيبي بالمستوى النحوي[1].

إذا كان موضوع الدرس الصرفي هو الكلمة المفردة وهو يبحث فيها من حيث بنيتها ومن حيث وزنها من حيث اشتقاقها ومن حيث تجردها وزيادتها إلى غير ذلك مما يتعلق بالكلمة، فإن موضوع علم التراكيب هو الكلمة مؤلفة مع غيرها او هو الجملة بحيث تدرس الجملة فيها من حيث نوعها ومن حيث ما يطرأ لأركانها من تقديم وتأخير او ذكر أو حذف أو اضمار أو إظهار ومن حيث ما يطرأ على الجملة من استفهام أو نفي أو توكيد كل هذا مما يرتبط ارتباطا وثيقا بموضوع الدرس التركيبي أي النحوي، أعني الجملة ترتبط ارتباطا وثيقا لا يصح اغفاله او اهماله[2].

وموضوع علم التراكيب هو معرفة هذه العلاقات التي تتكون منها اللغة وذلك بدراسة التراكيب النحوية الناجمة عنها، ومعرفة مواقف استعمالها وذلك بالعودة إلى كتب النحو والبلاغة والشعر

(1) هادي نهر: الأساس في فقه اللغة العربية وأوروماتها، دار الفكر، عمان، ط1، 2002، ص 117.

(2) غازي مختار طليمات: في علم اللغة، دار طلاس، دمشق، ط2، 2000م، ص 186.

والنثر القديم وندرسها دراسة لسانية نمزج فيها بين معطيات علم النحو وعلم المعاني تجمع بين دلالة الالفاظ والتراكيب النحوية والبحث عن التفاعل القائم بين الوظيفة النحوية والدلالة المعجمية للمفردة التي تشغل هذه الوظيفة، والموقف المعين لها للوصول غلى المعنى الدلالي للجملة وبمعنى آخر محاولة الكشف عن تركيب الجملة المتمثل في صورتها الصوتية المنطوقة وفي معناها المحكوم بالنظام العقلي، أي إن موضوع علم التراكيب هو السعي إلى مزج معطيات علم النحو بمعطيات علم المعاني.

علاقة علم التراكيب بالدلالة:

إن مما يلاحظه الدارس خلال تصفح بعض كتب النحو وغيرها هو وجود علاقة عضوية متينة تربط الدلالة بعلم التراكيب، وبالرغم من الاتهامات بأن علم التراكيب لا يهتم بالدلالة بل يهتم بدراسة حركات الإعراب وصفّ الكلمات في جمل دون الاهتمام بما وراء ذلك، وكل هذه الأمور تنال من دور علم التراكيب ومكانته السامية بين العلوم العربية والدينية.

إن دراسة التراكيب اللغوية من الموضوعات التي اهتم بها علماء اللغة المحدثون اهتماما بالغا حتى أضحت قطب الرحى في كل نظرية لسانية جديدة، وليس معنى هذا أن اللغويين العرب لم يعرفوا هذا النوع من الدراسة بل وجدنا ان الإمام عبد القاهر الجرجاني ت 471هـ يقرر في ذلك الزمن المتقدم ما قرره علماء اللغة المحدثون في نظريته (النظم)[1].

(1) فاضل صالح السامرائي: الجملة العربية والمعنى، دار الفكر، عمان، ط1، 2007، ص 7.